منزل القاضي صبرة والزبيري و

بيـــوت في صفـ

» عبد السلام صبرة كان روح الثورة والنضال الو

إعداد وتصوير / محمد محمد إبراهيم_ معين النجري

هنـا فـي مجلس يصل طوله إلـى ثمانية أمتار وعـرض أربعة اكتملت الصـورة وتوقفت الهواجس، حسمت كل الخيارات واتخذ القرار الأخير.
في منزل المناضل الكبير عبدالسلام صبره عقد الثوار آخر اجتماع وتم اختيار المناضل عبدالله السلال قائدا للثورة بعد اعتذار حمود الجائفي.
هنا تحول المجلس إلى غرفة عمليات حقيقية تضع اللمسات الأخيرة لتفجير أكبر ثورة شعبية عرفتها البلاد منذ القدم.
كانـت السـتائر والنوافـذ والأبـواب في حالـة اسـتنفار وتوجس وثوريـة, كل مكونات المنـزل أحجار وأخشـاب مشـحونة بالحرية بانتظار أول طلقة لتمد بيوت كل اليمنيين في زوايا الوطن بوهج الحرية والانعتاق من الظلم.
ربما لم يكن يفكر القاضي عبدالسـلام صبرة في هذه اللحظة بشـرف استضافته مثل هذا الاجتماع التاريخي لأن الهدف كان أسمى وأكبر من كل الحسابات, لكنه شرف كتبه التاريخ تتويجا لنضال هذه الأسرة العريقة.
لم يكن منزل القاضي صبرة هو الوحيد الذي كان يستضيف اجتماعات الثوار ويشهد على نقاشاتهم وخططهم .

■ إنه منزل أبو المناضلين اليمنيين القاضي عبدالسلام صبرة هذا المنزل الصنعاني البديع والشامخ كانت ترسم خارطة لحظات الحسم الثوري لميلاد اليمن الجمهوري. منها خرجت الأوامر للضباط الأحرار ببدء الحدث الثوري ، ومنها انطلق العزم على الذهاب إلى بيت المشير السلال لإقناعه بأن يكون قائد الثورة ، بعد اعتذار حمود الجائفي، وفي البيت أقيمت غرفة عمليات التواصل إلى الكلية الحربية إلى العرضي إلى قصر السلاح إلى دار البشائر لتسيير خطوات أحداث ليلة السادس والعشرين من سبتمبر ، وربط حلقات العمل الميداني ليشرق الصباح على اكتمال دائرة الثورة التي حملها الأثر إلى كل مناطق اليمن وإلى الخارج.
في زيارة ميدانية تصويرية لبيت القاضي عبد السلام صبرة الذي ولد وتربى ونشأ فيه بحي الأبهر ، صنعاء القديمة ، وجدنا بيتاً تحفة في البناء والهيئة ، بسيطاً في التقاسيم ، مهاباً باتصافه ببيت العلم ،.. منزل مكون من أربعة أدوار تقريباً إن لم تخنّ الذاكرة حيث صعدت سلالم حجرية أوحت لي بهذا التقدير ، بناء بدائي لكنه من الطراز الصنعاني الفريد والمتعارف عليه في تقاسيم البيت، من أسفل البيت مكان المحطاب وضيق السلالم الحجرية التي تلتوي حول عمود هو أساس البيت تتفرع من نهاية كل دور منه غرف البيت المفتوحة على صالة تشكل ملتقى الأبواب إلى أن وصلنا في الدور الثالث على صالة يطل عليها باب مجلس طويل هو الرئيسي ويصل طوله بين (٦ - ٨) في عرض (٣-٤) أمتار تقريباً ، وفي الدور الرابع على نفس الاتجاه يوجد مجلس مماثل لكنه أقل طولاً من الذي تحته ، الدليل الذي عرفني - وزميلي العزيز هاني المتوكل - على البيت أشار أن المجلس الطويل كان – حسب الروايات – هو المقر السري الذي جرت فيه اجتماعات المناضلين خلال فترات متعددة ومتباعدة ، لكنه تحول ليلة السادس والعشرين من سبتمبر إلى غرفة عمليات.. ومبتدأ خارطة طريق الثورة..

من هو القاضي عبد السلام صبرة

في العام ١٩١٢م ولد القاضي عبدالسلام محمد صبره وفي ١٩٦٢م خطط لميلاد الثورة السبتمبرية بدل الاحتفال بيوبيل عمره الذهبي ، وفي ٢٠١٢م غادر الحياة عن عمر ناهز المائة عام لتودعه اليمن، مراسم رسمية مهيبة ، وشعبية تختزّل حضوره القيمي والإنساني في نفوس الناس حبا وتسامحاً وطيبة ووفاء..
وبين هذه المتوالية التاريخية ذات الدلالة العظيمة تقع السيرة النضالية الاستثنائية
ففي أسرة متوسطة نشأ وتربى ، ليدرس في معلامة الأبهر ثم في معلامة توفيق وفي مكتب بئر العزب وفي مكتب الفليحي ثم انتقل إلى جامع صنعاء (الجامع الكبير)بمدينة صنعاء..
كان والده مرجعاً علمياً له ولجميع زملائه من اليمنيين وتضم مكتبته نفائس المعارف العامة ، وكان يجيد عدة لغات منها التركية والفارسية والفرنسية، ويجيد خط المسند الحميري ويتقن ترجمته وقد درس والده على يد أحد الأتراك المنفيين لمدة اثنى عشر عاما وكان يربي أولاده على رفض التعصب والتقليد الأعمى .
بعدها عمل القاضي عبدالسلام منذ البدء في بلدية صنعاء وتدرج حتى أصبح رئيساً لها إضافة إلى قيامه بعمل وكيل عامل صنعاء .. وارتبط في نضاله لمقارعة غول الإمامة بكثير من مؤسسي حركة المعارضة السياسية ومنهم المحلوي والدعيس والمطاع ورفاقهم الأحرار الذين تعرضوا مرارا للاعتقال والتعسف معاً.
في عام ١٩٤٤م اعتقل في سجون الطاغية يحيى)سجن الروضة وصنعاء وإب وتعز).. ليخرج من المعتقل ثم يعود مرة ثانية إلى سجن حجة عقب فشل ثورة ١٩٤٨م والذي كان أحد المشاركين بها في سجون حجة حتى عام ١٩٥٥م .. ثم خرج من سجن حجة وعمل رئيساً لبلدية صنعاء وظل كذلك حتى قبل قيام ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة بعام حيث أودع سجن القلعة بصنعاء ثم أودع المستشفى وأطلق سراحه قبل الثورة بأشهر..
الجانب الآخر العملي والإداري من سيرته النضالية المشهود لها بالأمانة والصدق والوفاء سواء في كفاحه الوطني أو في المناصب التي تقلدها بعد الثورة حيث عضواً في مجلس قيادة الثورة فعضواً في مجلس الرئاسة فعضواً في المكتب السياسي. وبعدها وزير أوقاف ووزير شئون القبائل في آن واحد ، ثم رئيساً للمجلس الأعلى للمتابعة والذي كان بديلاً لمجلس الشورى، فنائباً لرئيس الوزراء للشئون الداخلية ثم رئيس وزراء بالنيابة ومستشاراً لرئيس المجلس الجمهوري.
كما يعتبر الوالد المناضل عبدالسلام صبرة النافذة التي يطل منها المناضلون علي تاريخ الحركة الوطنية التي كان واحداً من أبرز رجالاتها المخلصين ، مثل بصلابته ومبدئيته وصموده المثل العظيم للمناضل الوطني الجسور ، كما مثل همزة الوصل بين قيادة حزب الأحرار والحركة الوطنية في الداخل ، وكان الأب الروحي لتنظيم الضباط الأحرار الذين فجروا ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة.
في مطلع العام الجاري ٢٠١٢م الذي يمثل اليوبيل الذهبي للثورة السبتمبرية أطفأ القاضي عبد السلام صبرة الشمعة المائة من عمره ليس ليبدأ سنة جديدة من العمر والصحة والذاكرة الصافية ، بل ليرحل عن اليمن مخلفاً صفحات ناصعة من النضال والسمعة الطيبة والزهد والترفع ، طوال أكثر من نصف قرن من الزمان ظل القاضي عبد السلام صبرة رمزاً بارزاً في الحركة الوطنية اليمنية متحلياً بنكران الذات، جامعاً بين وقار المعرفة وبساطة وتواضع المناضل ،ونزاهة وعفة وطهر الثوري الأصيل.
كان يسري حب اليمن وإنسانها في عروقه دون توقف عند جغرافيا أو رأي أو فكر أوطبقية أو سلالية ، فقولاً كان صادقاً وشجاعاً لا تغريه المقامات والمصالح وتخيفه التضحيات في سبيل قول الحق ، وعملاً سلوكاً..عمّد تفاصيل خطته الثورية وسعيه الدؤوب لإيقاد شعلة الوعي والحرية بأن وضع ابنه الوحيد (المناضل الجسور عبدالله عبد السلام صبرة) مارداً يفجر شرارة الثورة، وأحد قادة الرتل الأول لدبابات عشية السادس والعشرين من سبتمبر ، تضحية وبسالة، إيذاناً بدك قصور الطاغية..
ودون ذكر الأدلة والأقوال فليس غريباً أن يرد اسم منزله في معظم صفحات الوثائق والكتب والمذكرات والشهادات التي سجلها عشرات المناضلين حول مسيرة الثورة والنضال الوطني.. كأبرز البيوت التي دخلت ذاكرة الثورة.. وللمتابع والمهتم أن يقرأ مذكرات المناضلين والثوار والباحثين.. ولكثرة الوثائق التي تتطرق إلى ذكر منزل المناضل عبد السلام محمد صبره لا يتسع المجال هنا لذكر تفاصيل الاجتماعات والنقاشات التي دارت في ذلك المنزل..

بيت أبو الأحرار محمد محمود الزبيري

ومن البيوت التي خلدت في ذاكرة الثورة اليمنية ، بيت أبو الأحرار الشهيد محمد محمود الزبيري.. لكن خلود هذا البيت لم يكن في سطور التخطيط لقيام الثورة فحسب بل يعتبر أول بيتيهدمه الإمام لموقف صاحبه الذي هو الزبيري، فكان ذلك رداً على قصيدة قالها عن ظلم الإمام أحمد ، يقول المناضل صالح الأشول حول هذه القصة في حوار صحفي نشر سابقا في صحيفة ٢٦ سبتمبر: الغرور عندما يركب الإنسان يعمي بصيرته وهكذا كان حال الإمام أحمد فلم يعتبر بما حدث لوالده .. الميزة الوحيدة التي كانت للإمام أحمد عن والده هي انه كان كريماً مع أعوانه بينما والده الإمام يحيى كان بخيلاً ويتنكر حتى لأقرب الناس إليه، وقد وصف الإمام يحيى بأنه من أكبر بخلاء التاريخ..
لكن من أكبر أخطائه– الإمام أحمد- انه اغتر وجاء الحكم منتقماً بعد مقتل والده فاستمر في نهجه الظالم حتى انه اشتهر بمقولة حين كان ولياً للعهد مفادها: إنني أرجو أن ألقى ربي وسيفي هذا مخضبا بدماء العصريين.
يقول الزبيري في إحدى روائعه الشعرية وهو يصف حال بؤس اليمنيين.

ما لليمانيين في لحظات بؤس — وفي كلماتهم آلام
جهل وأمراض وظلـم فـادح — ومخافة ومجاعة وإمام
والناس بين مكبل في رجله قيد — فمه البليغ لجام

إلى أن قال:كم من أب وأسى الإمام بروحه/ماتت جياع بعده الأيتام
إلى آخر القصيدة المشهورة.
وبعد هذه القصيدة للزبيري في الإمام.. أمر الإمام بخراب بيته، لكن جاء بعض العقلاء إلى الإمام وقالوا له: إن الزبيري لا يملك في هذا البيت غير الربع والباقي للأيتام.. ومع ذلك أمر الإمام بتخريب بيت آخر في وادي ظهر.
وقد تم نشر الكثير من القصائد الوطنية التي على إثرها أمر الإمام يحيى بهدم بيت الزبيري في بستان السلطان لولا إن صهر الزبيري أحمد عبدالملك وهو أحد كتبة الإمام تقدم بطلب للإمام منبها أن البيت يملكه ورثة وهم ضعفاء وفقراء وليس للزبيري إلا الربع في البيت فقال الإمام: أما بيت الزبيري الذي موجود في وادي ظهر لابد من هدمه وقام بهدمه فعلا..

بيت عبدالغني مطهر

وثمة بيوت أخرى بعيدة عن معاقل الإمامة سخرت متاعها وظلها لتكون مأوى للمناضلين الفارين من مقاصل المحاكمات سواء داخل الوطن أو خارجه ، ومن هذه البيوت بيت ومنزل رجل الأعمال اليمني عبد الغني مطهر الذي نذر غربته وكل ما يملك زاداً للنضال والمناضلين سواء في مقر إغترابه في الحبشة ، أو وهو في عدن أو في تعز حيث كان منزله مكاناً للمؤن والسلاح والذخائر المعدة للقضاء على الإمام أحمد ، فإذا لم يحضر بيته حضر جيبه داعماً مادياً وتسليحاً لكل من يريد الكفاح لإنقاذ اليمن من الاستبداد والاستعمار.. يقول في هذا الشأن المناضل صالح الأشول في مذكراته: عاد عبد الغني مطهر (العريقي) من مهجره إلى الوطن عام ١٩٥٨م بهدف المشاركة في البناء التنموي من خلال الاستثمار المحلي، في وقت كان العمل التجاري في ظل النظام الإمامي مخاطرة ....
وأضاف الأشول: كان مشروع عبد الغني مطهر اغتيال الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين دون أن يكون له برنامج من خلال ارتباطه بعناصر في قصر الإمام ، وبعد اغتيال الإمام أحمد يتم السيطرة على العاصمة من خلال تحريك مجموعات لذلك على أن تكون البداية لهذه الخطة احتلال قلعة القاهرة، ومنطقة الكريفة من عناصر مرتبة بالخطة من داخل الموقعين. وعلى ضوء هذه الخطة وقبل التنفيذ اتفق مع عدد من الضباط الأحرار على أن يتم نقل الأسلحة والذخائر من منزل عبد الغني مطهر في المدينة وعبد القوي حاميم في العرضي لتكون على مقربة من مجموعة الضباط المتواجدين داخل جراج الدبابات، إلا أن الضباط رفضوا تنفيذ هذه المهمة تحت حجة أنهم تحت الرقابة ، كان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢م موعد القيام بالثورة، بالإضافة إلى انتدابهم الملازم علي الضبعي إلى صنعاء لطرح الأمر أمام اللجنة القيادية..
تراجع عبد الغني مطهر عن تنفيذ العملية التي وعد بها القاهرة ، وعند خشيته من اكتشاف بعض الأسلحة التي كانت عنده في المنزل اتصل بالرفيق المناضل يحيى عبدالرحمن الإرياني -مسؤول الحركة في

■ مثّل منزل القاضي عبد السلام صبرة ملتقىً للمناضلين اليمنيين والضباط الأحرار والمكان السري لخطط الثورة السبتمبرية

■ هناك بيوت أخرى ارتبطت بالدفاع عن صنعاء أيام الحصار سواء بيوت القادة أو المواطنيـن

العيد الخمسون لثورة سبتمبر الخالدة ..
لنبتن يمناً جديداً يخلو من سلبيات الماضي ومنغصاته.